



العلاقات التونسية الإيطالية (1960-2000) دراسة تاريخية تحليلية

م.د مروه زهير علي النحاس

جامعه الحمداية /كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الإطار العام للعلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة الممتدة من 1960 إلى 2000، من خلال تحليل خلفياتها التاريخية والسياسية، واستعراض أطرها القانونية والمؤسسية، وتحديد العوامل المؤثرة في تطورها. كما يتناول البحث أهم مجالات التعاون بين البلدين، سواء في الجانب الاقتصادي والتجاري أو في الميدان الثقافي والاجتماعي، مع تسليط الضوء على التحديات والصعوبات التي رافقت هذا المسار. تظهر الدراسة أنّ العلاقات بين تونس وإيطاليا لم تكن وليدة الاستقلال، بل امتداداً لتاريخ طويل من التداخل البشري والثقافي، تعرّز بوجود جالية إيطالية واسعة في تونس منذ القرن التاسع عشر، وبالهجرات التونسية المتزايدة نحو إيطاليا منذ السبعينات. وقد شكّل الاقتصاد محوراً مركزياً في هذه العلاقات، من خلال المبادلات التجارية، والاستثمارات الصناعية، ومشروع أنبوب الغاز العابر لتونس نحو أوروبا. وفي المقابل، لعب التعاون الثقافي والاجتماعي دوراً مهماً في بناء جسور إنسانية متينة، رغم ما رافقه من صعوبات مرتبطة بالاندماج والهجرة غير النظامية.

الكلمات المفتاحية: تونس، إيطاليا، التعاون، المتوسط، الهجرة.

Tunisian-Italian Relations (1960-2000): An Analytical Historical Study

Dr. Marwa Zuhair Ali Al-Nahhas

University of Hamdaniya / College of Education for Humanities / Department of History

Abstract:

This research aims to examine the general framework of Tunisian–Italian relations between 1960 and 2000, through an analysis of their historical and political background, the legal and institutional frameworks, and the key factors shaping their development. The study also highlights the main fields of cooperation between the two countries, both in the economic and commercial sphere and in the cultural and social domain, while addressing the challenges and difficulties that accompanied this trajectory. Findings reveal that Tunisian–Italian relations were not merely a product of independence, but rather an extension of a long history of human and cultural interaction, reinforced by a large Italian community in Tunisia since the nineteenth century and by the growing Tunisian migration to Italy from the 1970s onwards. The economy stood as the central pillar of bilateral ties, through trade exchanges, industrial investments, and the gas pipeline crossing Tunisia to Europe. At the same time, cultural and social cooperation played an essential role in building strong human bridges, although challenged by issues of integration and irregular migration.

Keywords: Tunisia, Italy, cooperation, Mediterranean, migration.

المقدمة:

شهدت العلاقات التونسية-الإيطالية خلال النصف الثاني من القرن العشرين تحولات عميقة جعلت منها إحدى التجارب المميزة في تاريخ التفاعل المتوسطي. فبين عامي 1960-2000، تميزت هذه العلاقات بالتشابك بين السياسي والاقتصادي والثقافي، في ظل تحولات إقليمية ودولية متسارعة. فبعد استقلال تونس عام 1956، سعت الدولة الجديدة إلى بناء سياسة خارجية متوازنة تراعي مصالحها الوطنية، وتفتتح على شركاء من الضفة الشمالية للمتوسط. ومن بين هؤلاء الشركاء برزت إيطاليا، التي جمعتها



بتونس روابط جغرافية وثقافية قديمة، فكانت بالنسبة لها أكثر من مجرد جار بحري، بل شريكاً استراتيجياً في قضايا الهجرة والطاقة والتبادل الاقتصادي والثقافي.

لقد شكّل استقلال تونس نقطة انطلاق فعلية لمرحلة جديدة في العلاقات الثنائية، اتسمت بالسعي إلى تحويل الإرث التاريخي المشترك إلى تعاون مؤسسي منظم. فمع حكم الرئيس الحبيب بورقيبة ثم زين العابدين بن علي، تدرّجت هذه العلاقات من الاتصالات الدبلوماسية الأولى إلى اتفاقيات اقتصادية واجتماعية شملت مجالات حيوية، أبرزها الهجرة والتعاون الصناعي ومشروع الغاز العابرة لتونس نحو أوروبا. كما ساهمت التحولات السياسية في البحر الأبيض المتوسط وصعود الشراكة الأورو-متوسطية في تسريع وتيرة التنسيق بين البلدين ضمن رؤية مشتركة للأمن والتنمية في المنطقة.

ورغم أن جذور الصلات التونسية-الإيطالية تمتد إلى قرون سابقة للاستقلال، فإن المرحلة التي تلت عام 1960 مثّلت الإطار الأوضح لتطور هذه العلاقة على أسس قانونية واقتصادية حديثة. فقد أصبحت إيطاليا أحد أهم الشركاء الأوروبيين لتونس، سواء في مجال المبادلات التجارية والاستثمارات أو في التعاون الثقافي والجامعي. ويهدف هذا البحث إلى دراسة تطور هذه العلاقات خلال العقود الأربعة الممتدة من 1960-2000، من خلال تحليل خلفياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورصد أبرز العوامل التي أسهمت في توطيدها، والتحديات التي واجهت مسارها في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

إن العلاقات التونسية – الإيطالية في النصف الثاني من القرن العشرين لم تكن علاقات بسيطة أو أحادية البعد، بل كانت محكومة بتفاعلات معقدة جمعت بين القرب الجغرافي والتاريخ المشترك من جهة، وبين اختلاف المصالح والسياسات الدولية من جهة أخرى. وتتمثل مشكلة البحث في محاولة فهم كيف تمكن البلدان من إدارة هذه العلاقات خلال فترة اتسمت بتقلبات حادة على المستويين الإقليمي والدولي. فقد شهد العالم خلال هذه العقود الحرب الباردة وانهيارها، وصعود الاتحاد الأوروبي كشريك إقليمي فاعل، إضافة إلى بروز قضايا الهجرة غير النظامية والإرهاب والتعاون الأمني كمفاتيح أساسية.

ومن هذه المشكلة ينبع سؤال البحث:

- كيف أثرت الخلفية التاريخية والسياسية على صياغة العلاقات التونسية – الإيطالية بعد الاستقلال؟
- ما هي الأطر القانونية والمؤسسية التي نظمت هذه العلاقات خلال الفترة 1960-2000، وكيف ساهمت في تطويرها أو إعاقه نموها؟

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات علمية وعملية. فمن الناحية العلمية، يساهم البحث في سد فراغ في الدراسات التاريخية والسياسية التي تناولت العلاقات التونسية – الإيطالية بشكل جزئي أو متقطع، دون أن تقدم معالجة شاملة لفترة 1960-2000. ومع أن هناك دراسات عديدة ركزت على الحقبة الاستعمارية أو على بدايات القرن التاسع عشر حيث برز نفوذ الدويلات الإيطالية في تونس، إلا أن العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين ظلت أقل دراسة بالرغم من أهميتها الاستراتيجية. وبذلك فإن هذا البحث يقدم إضافة معرفية، ويساهم في إثراء الأدبيات المتعلقة بتاريخ العلاقات الدولية في الفضاء المتوسطي. أما من الناحية العملية، فإن أهمية البحث تتجلى في أنه يعرض تجربة واقعية من علاقة بين بلدين يربطهما المتوسط، وما يمكن أن نستخلصه من دروس لهذه التجربة في الحاضر. فالعلاقات التونسية – الإيطالية لم تنقطع مع نهاية القرن العشرين، بل ظلت تتطور في إطار الشراكة الأورو-متوسطية وسياسات الجوار الأوروبي. إن فهم الخلفيات التاريخية والسياسية والاقتصادية التي حكمت الفترة 1960-2000 يساعد صناع القرار والباحثين على إدراك جذور التحديات الراهنة مثل قضية الهجرة غير النظامية، أو قضايا الطاقة والتعاون الأمني. كما أن البحث يوفر قاعدة علمية يمكن أن يعتمد عليها طلاب التاريخ والعلوم السياسية والعلاقات الدولية في أبحاثهم المستقبلية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتكاملة. أولاً، يسعى إلى دراسة الخلفية التاريخية والسياسية للعلاقات التونسية – الإيطالية منذ الاستقلال وحتى نهاية القرن العشرين، وإبراز كيف تفاعلت



هذه الخلفية مع المستجدات الدولية والإقليمية. ثانياً، يهدف إلى تحليل الأطر القانونية والمؤسسية التي وضعت لتنظيم العلاقات بين البلدين، سواء من خلال الاتفاقيات الثنائية أو من خلال الانخراط في الشراكات الأوروبية-متوسطة، مع تقييم مدى فعاليتها. ثالثاً، يسعى البحث إلى الكشف عن العوامل المؤثرة التي ساهمت في تطور هذه العلاقات، سواء كانت عوامل داخلية مثل الأوضاع الاقتصادية والسياسية في تونس، أو عوامل خارجية مثل مكانة إيطاليا في الاتحاد الأوروبي والتحول العالمية.

كما يهدف البحث إلى دراسة مجالات التعاون بين البلدين، وخاصة التعاون الاقتصادي والتجاري الذي شكل محوراً أساسياً للعلاقات، إضافة إلى التعاون الثقافي والاجتماعي الذي انعكس في مجال الهجرة والجالية التونسية في إيطاليا. ويطمح البحث إلى إظهار كيف ساهمت هذه المجالات في تعزيز الروابط، ولكنها في الوقت نفسه أنتجت تحديات جديدة. وأخيراً، يهدف البحث إلى تحديد أبرز الصعوبات التي واجهت العلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة 1960-2000، وتحليل كيفية إدارتها من قبل الطرفين. وبهذا المعنى، فإن البحث لا يكتفي بالوصف التاريخي، بل يتبنى منظوراً تحليلياً يسعى إلى فهم ديناميكيات العلاقات بين بلدين يشتركان في الجغرافية ولكن يختلفان في الإمكانيات.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على منهج تاريخي-تحليلي يجمع بين استقراء الأحداث التاريخية وتفسيرها في ضوء النظريات السياسية والعلاقات الدولية. فالمنهج التاريخي يسمح بتتبع مسار العلاقات التونسية – الإيطالية عبر العقود الأربعة محل الدراسة، ورصد المراحل الأساسية التي مرت بها، من التأسيس القانوني والمؤسسي إلى توسيع مجالات التعاون. أما المنهج التحليلي، فيمكن من تفكيك العوامل المؤثرة في هذه العلاقات، وتقييم مدى نجاح أو إخفاق السياسات المتبعة.

المبحث الأول: الإطار العام للعلاقات التونسية – الإيطالية (1960-2000)

تمثل العلاقات التونسية – الإيطالية إحدى التجارب المميزة في تاريخ العلاقات الدولية بالفضاء المتوسطي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إذ جمعت بين بلدين متقاربين جغرافياً، مختلفين من حيث الوزن الاقتصادي والسياسي، لكنهما متكاملان من حيث المصالح الاستراتيجية. لقد كانت تونس، منذ استقلالها سنة 1956، تبحث عن موقع متوازن في الساحة الدولية، في ظل نظام عالمي ثنائي القطبية، وفي سياق إقليمي معقد يتأرجح بين صراعات عربية داخلية وضغوط دولية متزايدة. ومن جهة أخرى، كانت إيطاليا، الخارجة من الحرب العالمية الثانية، تتطلع إلى ترسيخ حضورها في الفضاء المتوسطي عبر البوابة التونسية التي ارتبطت بها منذ قرون.⁽¹⁾

لا يمكن فهم عمق هذه العلاقات دون العودة إلى الخلفيات التاريخية التي سبقت فترة الاستقلال، فقد شكلت التجربة الاستعمارية الفرنسية في تونس منعرجاً أساسياً أعاد تشكيل التوازنات الإقليمية، لكنه لم يلغ الحضور الإيطالي الذي ظل قائماً من خلال جالية كبيرة استوطنت البلاد منذ القرن التاسع عشر، ولعبت أدواراً اقتصادية واجتماعية وثقافية بارزة. كما أنّ تقاطع التجارب التاريخية بين تونس والدويلات الإيطالية، سواء في البندقية أو نابولي أو صقلية، أضفى على العلاقات الثنائية بعداً استثنائياً يختلف عن بقية العلاقات التونسية مع شركاء آخرين من الضفة الشمالية للمتوسط.

وعليه، فإن دراسة الإطار العام للعلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة الممتدة بين 1960-2000 تستدعي الانطلاق من هذه الخلفيات التاريخية والسياسية لفهم طبيعة الروابط التي تشكلت لاحقاً، وتفسير كيف تفاعلت مع التحولات الدولية الكبرى مثل الحرب الباردة، وصعود الاتحاد الأوروبي، ثم سقوط جدار برلين وما تبعه من إعادة تشكيل للمشهد الجيوسياسي في المنطقة. وفي هذا السياق، يأتي هذا المبحث

⁽¹⁾Tomassctti Maetinc. La Banque Italienne de Crédit de la Deuxième Guerre Mondiale à l'indépendance. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 95-115.



ليمهد لبقية الدراسة، عبر استعراض الخلفية التاريخية والسياسية، ثم الأطر القانونية والمؤسسية للعلاقات، وصولاً إلى العوامل المؤثرة في تطورها.⁽²⁾

المطلب الأول: الخلفية التاريخية والسياسية

إنّ العلاقات التونسية – الإيطالية لم تبدأ مع استقلال تونس سنة 1956، بل لها جذور تاريخية تعود إلى القرون السابقة، حيث مثلت إيطاليا بمدنها الساحلية وموانئها الكبرى مثل (جنوة والبندقية و نابولي وليفورنو)، أحد أهم الشركاء التجاريين والدبلوماسيين لإيالة تونس، وكانت البعثات التجارية تتردد على السواحل التونسية، وبرزت محطات للتبادل شملت تصدير الزيت، والقمح، والمنتجات الزراعية، مقابل استيراد المنسوجات والمعادن والأسلحة، غير أن هذه العلاقات لم تكن دائماً سلسلة، بل شابتها فترات توتر وصدام، خصوصاً في فترة حكم حمودة باشا (1782-1814) الذي واجه صعوبات مع البندقية وصقلية بسبب القرصنة والاعتداءات البحرية، ولكنه في المقابل حاول الاستفادة من هذه العلاقات لتعزيز مكانة الإيالة في الساحة الدولية.⁽³⁾

تعرّز الحضور الإيطالي في تونس بشكل ملحوظ في القرن التاسع عشر، فقد شهدت البلاد استقرار جالية إيطالية كبيرة، خاصة من جزيرة صقلية ومنطقة توسكانا، نتيجة الأزمات الاقتصادية في إيطاليا والهجرة نحو الضفة الجنوبية، هذه الجالية لم تكن مجرد جالية مهاجرة، بل أصبحت جزءاً فاعلاً في النسيج الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتونس، فقد أسست مدارس ومؤسسات وجمعيات، وساهمت في إدخال مظاهر جديدة من الحداثة العمرانية والتجارية في تونس.

غير أنّ هذا الحضور المتنامي لم يكن بعيداً عن حسابات القوى الاستعمارية الكبرى. فمع توقيع معاهدة باردو عام 1881 ودخول تونس تحت الحماية الفرنسية، وجد الإيطاليون أنفسهم في موقع حساس، إذ خشيت فرنسا من النفوذ الإيطالي المتزايد، بينما سعت إيطاليا إلى حماية جالياتها وحقوقها الاقتصادية. وقد شكل هذا الوضع معضلة دبلوماسية استمرت لعقود، وظهرت توترات بين الجالية الإيطالية والإدارة الفرنسية من جهة، وبين الوطنيين التونسيين الذين كانوا يتطلعون إلى الاستقلال من جهة أخرى.⁽⁴⁾

اكتسب الحضور الإيطالي في تونس بعداً أيديولوجياً خطيراً مع صعود الفاشية في إيطاليا بقيادة موسوليني، فقد عملت الدعاية الفاشية على استقطاب الجالية الإيطالية ودفعها للتمسك بالهوية الإيطالية بل ومحاولة التأثير على الحركة الوطنية التونسية في الثلاثينات. حاول النظام الفاشي استغلال المشاعر الوطنية في تونس للتأثير على مسار النضال ضد الاستعمار الفرنسي، لكن هذه المحاولات قوبلت بتحفظ من النخب التونسية التي كانت تدرك الطابع الاستعماري لهذه الدعاية.⁽⁵⁾

وبالمقابل، لم يخلُ المشهد من مقاومة داخلية بين الإيطاليين أنفسهم، إذ نشطت حركات إيطالية مناهضة للفاشية داخل تونس، وبرزت شخصيات وجماعات لعبت أدواراً مهمة في مقاومة سياسات موسوليني هذه التفاعلات السياسية والثقافية في فترة ما بين الحربين العالميتين أضافت طبقة جديدة من التعقيد إلى العلاقات التونسية – الإيطالية، إذ باتت تونس فضاءً لصراع أيديولوجي بين فاشية توسعية وحركات تحررية.

دخلت العلاقات مرحلة أكثر تعقيداً مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث تحولت تونس إلى مسرح مواجهات عسكرية واستراتيجية، ووجد الإيطاليون المقيمون في تونس أنفسهم بين مطرقة الحرب وسندان

⁽²⁾Rawdha Zaouchi Razgallah. L'apport Toscan en Tunisie de 1830 à 1945: Approches Littéraires. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس_1999). 131ص -168

⁽³⁾Bechir Yazidi. L'implication des Italiens de Tunisie dans la guerre d'Espagne 1936-1939 et ses incidences. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس-1999)، ص. 253-259

⁽⁴⁾Yvonne Facassetti Brondino. Exemples de Regards Croisés à Travers la Production Littéraire "M. Sarfatti – C. Luccio – M. Scalesi dans la Tunisie du Protectorat". أعمال

⁽⁵⁾Kamel Jerfel. La Colonie Italienne de Sousse et le Fascisme 1922-1939. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 233-252.



التغيرات السياسية، وقد تراجعت أعدادهم تدريجياً بعد الحرب، خاصة مع اقتراب لحظة الاستقلال. لكن رغم ذلك ظل الحضور الإيطالي قائماً ومؤثراً، مما جعل تونس المستقلة تعطي أهمية خاصة لعلاقاتها مع إيطاليا، باعتبارها أحد الشركاء التاريخيين وأحد أبرز أعضاء الفضاء المتوسطي.⁽⁶⁾ إنَّ استقلال تونس عام 1956 لم يقطع الصلة بإيطاليا، بل فتح صفحة جديدة من العلاقات الثنائية. فقد اختارت تونس، بقيادة الحبيب بورقيبة (1903-2000)، سياسة خارجية تقوم على التوازن والانفتاح على الشركاء الأوروبيين دون الارتهاق لهيمنة طرف واحد. وفي هذا الإطار، لعبت إيطاليا دوراً خاصاً، فهي ليست قوة استعمارية مباشرة لتونس، لكنها كانت تملك نفوذاً قوياً من خلال الجالية الإيطالية والروابط الاقتصادية والثقافية. وقد وجد بورقيبة في إيطاليا شريكاً محتملاً لتخفيف الضغط الفرنسي، كما وجدت إيطاليا في تونس فرصة لتعزيز حضورها في شمال إفريقيا في منافسة مع فرنسا. أخذت هذه العلاقات بعداً جديداً مرتبطاً بالتحويلات الإقليمية والدولية مع سبعينات وثمانينيات القرن العشرين، فقد شهدت تونس بداية انفتاح اقتصادي وتحرير تدريجي للسوق، وهو ما شجع الشركات الإيطالية على الاستثمار وإقامة مشاريع مشتركة. كما ساهمت الهجرة التونسية نحو إيطاليا في خلق روابط اجتماعية متزايدة، وإن كانت قد حملت معها تحديات جديدة تتعلق بالاندماج والحقوق الاجتماعية. ومع نهاية الحرب الباردة (1947-1991) و بروز الاتحاد الأوروبي كلاعب أساسي، أصبحت إيطاليا بوابة تونس نحو الشراكة الأوروبية-متوسطية، وخاصة مع إطلاق مسار برشلونة عام 1995 الذي وضع أسس تعاون جديد بين الضفتين.

إن هذه الخلفيات التاريخية والسياسية تبين أنَّ العلاقات التونسية – الإيطالية بين 1960-2000 لم تكن وليدة المصادفة، بل هي نتيجة تراكم طويل من التجارب والتفاعلات، بدءاً من زمن الإيالة العثمانية وصراعات البحر المتوسط، مروراً بفترة الاستعمار الفرنسي وما حملته من منافسات إيطالية – فرنسية على الأرض التونسية، وصولاً إلى مرحلة الاستقلال وما تخللها من بحث عن شراكات جديدة. وهكذا يمكن القول إنَّ هذه الخلفيات شكلت الأساس الذي بُنيت عليه السياسات الثنائية، وأثرت في مجالات التعاون والصعوبات التي سيعالجها البحث لاحقاً.⁽⁷⁾

المطلب الثاني: الأطر القانونية والمؤسسية للعلاقات التونسية الإيطالية

إن العلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة الممتدة 1960-2000، لم تكن عفوية أو محكومة فقط بالصدقات السياسية والتبادلات الاقتصادية، بل قامت على مجموعة من الأطر القانونية والمؤسسية التي أسست لعلاقات منتظمة، تعمل على ضبطها اتفاقيات ثنائية، ولجان مشتركة، وأجهزة دبلوماسية متخصصة، لقد كان الطرفان يدركان أنَّ التاريخ وحده لا يكفي لضمان استمرار التعاون، وأنَّ العلاقات تحتاج إلى إطار قانوني يحدد مجالاتها وحدودها، ويضع الآليات الضرورية لتسوية الخلافات وضمان الاستمرارية.⁽⁸⁾

بادرت تونس منذ السنوات الأولى للاستقلال، إلى توقيع عدة اتفاقيات مع إيطاليا لتسوية الوضعيات القانونية للجالية الإيطالية المقيمة في البلاد، والتي كانت آنذاك من أكبر الجاليات الأجنبية. فبعد الاستقلال مباشرة، لم يكن من السهل تجاوز الإرث الاستعماري، حيث سعت تونس إلى إعادة النظر في الامتيازات التي كانت تتمتع بها الجالية الإيطالية، وفي الوقت ذاته كانت حريصة على عدم خسارة الدور الاقتصادي

⁽⁶⁾Michele Brondino. La Presse Italienne en Tunisie: Regards de Droite, Regards de Gauche. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (تونس- 1999)، ص. 169-182.

⁽⁷⁾Chokri Ben Fraj. Regard Journalistique sur les Relations Intercommunautaires dans la Tunisie Coloniale: l'Exemple des Affrontements entre Autochtones et Italiens Avant la Deuxième Guerre Mondiale. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (تونس- 1999)، ص. 183-192.

⁽⁸⁾Leila Adda. Le Statut des Italiens de Tunisie: Cent ans de Tergiversations. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس-1999)، ص. 31-45.



والثقافي الذي تلعبه هذه الجالية. لذلك جاءت الاتفاقيات الأولى لتضع الإطار القانوني الذي ينظم حقوق وواجبات الإيطاليين المقيمين بتونس، من حيث الملكية، والتعليم، والأنشطة الاقتصادية، إلا أن هذه الاتفاقيات لم تكن سهلة، إذ حاولت فرنسا أن تبقى حاضرة بشكل غير مباشر في المفاوضات، لكن تونس أصرت على أن تكون العلاقة مباشرة مع إيطاليا، في تأكيد على سيادتها واستقلال قرارها.⁽⁹⁾ كما لعبت الهجرة دوراً محورياً في تشكيل الأطر القانونية للعلاقات حيث تم توقيع (اتفاقية الإقامة) بين البلدين في 3 أيار عام 1966 لتنظيم أقامه المواطنين بين البلدين، وعلى اثر ذلك ارتفع عدد التونسيين المتجهين إلى إيطاليا للعمل، سيما في مجالات البناء والصناعة والخدمات، وقد فرض هذا الواقع على البلدين توقيع اتفاقيات لتنظيم هجرة اليد العاملة وضمان حقوق المهاجرين التونسيين وتعد اتفاقية الضمان الاجتماعي ابرز تلك الاتفاقيات التي ضمنت للعمال التونسيين في إيطاليا حقوقهم في التأمين والتقاعد والتحويلات المالية واصبح نموذجا للتعاون الاجتماعي في جميع انحاء المغرب، هذه الأطر القانونية كانت انعكاساً لرغبة البلدين في تحويل ظاهرة الهجرة إلى جسر تعاون، بدلاً من أن تكون مصدراً للتوتر.⁽¹⁰⁾

إلى جانب الاتفاقيات الخاصة بالجالية، جاءت اتفاقيات اقتصادية وتجارية لتأطير المبادلات بين البلدين وفي هذا السياق عقدت اول اتفاقية اقتصادية بين البلدين لتنظيم المبادلات التجارية وتسهيل نقل السلع لاقامة مشاريع مشتركة في مجال الطاقة البحرية . حيث ساهم صدور قانون ترسيم الحرف القاري عام 1971 في فتح آفاق جديدة أمام التعاون البحري والطاقي بين تونس وإيطاليا، من خلال تحديد مناطق الاستغلال المشتركة للموارد البحرية وتسهيل مشاريع الاستكشاف في البحر المتوسط. هذا التطور القانوني كان خطوة مبكرة في الاتجاه نحو التعاون الإقليمي الذي تعزز لاحقاً في إطار الشراكة الأورو-متوسطية.

مع بداية سياسة التخطيط الاقتصادي في تونس، تم توقيع اتفاقيات تجارية لتسهيل دخول المنتجات التونسية إلى السوق الإيطالية، خاصة الزيتون والفسفاط والمنتجات الزراعية. بالمقابل، ضمنت إيطاليا تصريف جزء من صناعاتها الميكانيكية والكيميائية نحو تونس، هذه الاتفاقيات أسهمت في انتقال الخبرات الصناعية الإيطالية إلى تونس سيما في قطاع الزراعة والبناء بل تطورت عبر الزمن لتشمل إنشاء لجان مشتركة لمتابعة سير المبادلات، وهو ما أعطى العلاقات طابعاً مؤسسياً واضحاً. لم يقتصر الأمر على الجانب الثنائي، بل انخرط البلدان في أطر أوسع مثل "مسار برشلونة" عام 1995 الذي أرسى الشراكة الأورو-متوسطية، حيث لعبت إيطاليا دور الوسيط بين تونس والاتحاد الأوروبي، وعملت على تعزيز مكانة تونس في هذه الشراكة.

وفي سياق ذلك أنشأ البلدان آليات للتشاور والتنسيق، مثل "اللجنة المشتركة التونسية – الإيطالية" أواخر القرن العشرين التي كانت تعقد اجتماعات دورية لمتابعة تنفيذ الاتفاقيات وتقييم العلاقات. كما لعبت السفارات والقنصليات دوراً حيوياً في تقريب وجهات النظر وحل الخلافات. وبهذا المعنى، فإن الأطر القانونية والمؤسسية للعلاقات لم تكن مجرد هياكل شكلية، بل كانت الإطار الذي سمح للعلاقات التونسية – الإيطالية أن تتطور بشكل متوازن نسبياً، رغم التحديات. فهي التي مكنت من تسوية أوضاع الجالية الإيطالية في تونس، وضمنت للتونسيين المهاجرين إلى إيطاليا حقوقهم

⁽⁹⁾Mustapha Bouhaja. La Colonie Italienne de Bizerte à l'époque Coloniale: Importance Économique et Rôle Socio-Politique. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 73-81.

⁽¹⁰⁾Marinette Pendola Migliore. Les Mots de la Mémoire: Une Approche Linguistique de la Présence Italienne en Tunisie. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 83-94.



الأساسية، وساهمت في دعم المبادلات التجارية والاستثمارات، كما فتحت المجال أمام التعاون الثقافي والتربوي من خلال اتفاقيات تبادل طلابي ومنح دراسية.⁽¹¹⁾

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تطور العلاقات

إذا كان التاريخ والجغرافيا قد منحا العلاقات التونسية – الإيطالية قاعدة قوية، فإنّ تطورها خلال الفترة 1960–2000 كان رهين مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تفاعلت بشكل معقد، وأنتجت تقارباً في بعض المجالات وتباعداً في مجالات أخرى.⁽¹²⁾

أول هذه العوامل هو **العامل الجغرافي**: فالقرب بين تونس وإيطاليا، الذي لا يتجاوز مئات الكيلومترات عبر البحر، جعل من التبادل بين البلدين أمراً طبيعياً وضرورياً. هذا القرب الجغرافي لم يكن مجرد مسافة بحرية قصيرة، بل تحول إلى معطى استراتيجي جعل من إيطاليا بوابة تونس نحو أوروبا، ومن تونس بوابة إيطاليا نحو إفريقيا والعالم العربي. فقد استفادت تونس من هذا القرب لتصدير منتجاتها بسهولة، فيما استفادت إيطاليا من موقع تونس الاستراتيجي لمراقبة جنوب المتوسط، خاصة في قضايا الأمن والهجرة.

العامل الثاني: يتمثل في العامل الاقتصادي لقد كانت تونس في حاجة إلى شريك اقتصادي يعزز خططها التنموية، خاصة مع بداية سياسة الانفتاح الاقتصادي في السبعينات، في حين كانت إيطاليا تبحث عن أسواق جديدة لمنتجاتها واستثماراتها. هذا التلاقي في المصالح جعل الاقتصاد محورياً أساسياً في تطور العلاقات. فالشركات الإيطالية كانت من أبرز المستثمرين في تونس، خصوصاً في مجالات النسيج والطاقة والصناعات الغذائية. كما لعبت التحويلات المالية للمهاجرين التونسيين في إيطاليا دوراً مهماً في دعم الاقتصاد الوطني. ومع ذلك، فإنّ التبادل لم يكن متكافئاً دائماً، إذ كانت الميزان التجاري يميل غالباً لصالح إيطاليا، وهو ما أثار نقاشات في تونس حول الحاجة إلى تنويع الشركاء وتحقيق توازن أكبر.

العامل الثالث هو العامل الاجتماعي والثقافي. فقد شكّلت الجالية التونسية في إيطاليا جسراً بشرياً ساهم في توثيق العلاقات، لكنها في الوقت ذاته طرحت تحديات متعلقة بالاندماج والحقوق الاجتماعية. كما أنّ الإرث الثقافي الإيطالي في تونس، من خلال المدارس والكنائس والجمعيات التي تركها الإيطاليون المقيمون، ظل حاضراً وأثر في العلاقات الثقافية والتعليمية. هذه الروابط الاجتماعية والثقافية عززت التقارب بين الشعبين، لكنها في بعض الفترات أثارت حساسيات، خاصة عندما ارتبطت الهجرة غير النظامية بمشاكل أمنية واجتماعية.⁽¹³⁾

العامل الرابع هو العامل الدولي. فقد كانت العلاقات التونسية – الإيطالية متأثرة بالسياق الدولي الذي شهد الحرب الباردة حتى عام 1989، ثم انهيارها وصعود الاتحاد الأوروبي. ففي تلك الفترة حاولت تونس أن تبقى على الحياد، لكنها استفادت من علاقتها مع إيطاليا العضو في حلف شمال الأطلسي لتعزيز موقعها الدولي. ومع نهاية الحرب الباردة، أصبحت إيطاليا من أبرز المدافعين عن إدماج تونس في السياسات الأوروبية الجديدة تجاه الجنوب. وقد انعكس هذا في مشاركة تونس في مسار برشلونة، وفي حصولها على وضع شريك مميز مع الاتحاد الأوروبي.

العامل الخامس يرتبط بالأنظمة السياسية في البلدين. ففي تونس، مرّت العلاقات عبر مرحلتين أساسيتين: **مرحلة الرئيس بورقيبة** التي اتسمت ببحث عن التوازن والانفتاح على أوروبا، و**مرحلة الرئيس زين العابدين بن علي** (1936-2019) التي ركزت على الاستقرار السياسي والانفتاح الاقتصادي. أما في

⁽¹¹⁾ Rainero, Romain H. La Présence Italienne en Tunisie de 1868 à 1896 d'après les Bulletins Diplomatiques et Consulaires Italiens. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 30-19.

⁽¹²⁾ Habib Belaid. Sources Françaises sur les Italiens de Tunisie 1881-1945: le Fonds d'Archives Microfilmées de l'ISHMN. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 56-47.

⁽¹³⁾ Nadia Spano. Les Italiens Antifascistes en Tunisie. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس - 1999)، ص. 267-279.



إيطاليا، فقد تعاقبت حكومات متعددة، لكن السياسة الخارجية تجاه تونس ظلت تحافظ على قدر من الاستمرارية، بحكم المصالح الاستراتيجية المشتركة.

إنّ هذه العوامل مجتمعة توضح أنّ تطور العلاقات التونسية – الإيطالية لم يكن نتيجة قرار أحادي، بل ثمرة لتفاعل معقد بين الجغرافيا والاقتصاد والثقافة والسياسة الدولية. لقد كان البحر المتوسط في هذه الفترة ليس فقط فضاءً جغرافياً، بل مجالاً استراتيجياً جعل من تونس وإيطاليا شريكين لا غنى لأحدهما عن الآخر، رغم التفاوت في الإمكانيات.⁽¹⁴⁾

المبحث الثاني: افاق التعاون والتحديات (1960-2000)

لقد شهدت العلاقات التونسية – الإيطالية بين 1960-2000 مساراً متشعباً اتسم بتعدد المجالات وتداخل العوامل التي حكمت طبيعتها. فبعد أن وضعت تونس استقلالها موضع التنفيذ، وأخذت تبحث عن شراكات اقتصادية وسياسية جديدة تعزز سيادتها وتفتح لها آفاقاً للتنمية، كانت إيطاليا من أبرز الدول المرشحة للعب دور أساسي في هذا التوجه. وقد ساعد القرب الجغرافي والتاريخ الطويل من التفاعل بين البلدين على تيسير التواصل، لكنّ ذلك لم يكن كافياً وحده لضمان مسار سلس. فقد فرض الواقع الإقليمي والدولي وجود تفاوتات عميقة بين البلدين، سواء في مستوى التنمية الاقتصادية أو في موقعهما السياسي داخل النظام الدولي. لذلك جاءت مرحلة 1960-2000 لتكون بمثابة فترة اختبار حقيقية لمدى قدرة تونس وإيطاليا على تحويل إرث الماضي إلى تعاون مثمر، وعلى تجاوز ما يطرأ من صعوبات وتوترات.

إنّ مجالات التعاون التي شهدتها هذه الفترة لم تقتصر على الاقتصاد والتجارة فحسب، رغم أهميتهما المحورية، بل شملت أيضاً التعاون الثقافي والاجتماعي الذي لعبت فيه الهجرة والجاليات دوراً بارزاً. كما أنّ التحديات لم تكن محصورة في الجانب الاقتصادي، بل امتدت إلى قضايا الهجرة غير النظامية، والتباين في موازين القوى، وأحياناً الخلافات السياسية المرتبطة بالملفات الإقليمية. ومن هنا تأتي أهمية هذا المبحث الذي يعرض بالتفصيل لمجالات التعاون التي جمعت تونس وإيطاليا، وما رافقها من صعوبات خلال العقود الأربعة التي تلت الاستقلال، وذلك حتى نفهم بعمق كيف تشكّل هذا المسار، وأين كانت مكامن القوة والضعف فيه.⁽¹⁵⁾

أولاً: التعاون الاقتصادي والتجاري

أدركت تونس منذ السنوات الأولى للاستقلال أنّ مستقبلها الاقتصادي مرتبط إلى حدّ كبير بعلاقاتها مع الضفة الشمالية للمتوسط، حيث تتواجد أسواق كبرى ومصادر للتمويل والاستثمار، ولم تكن فرنسا وحدها اللاعب الأساسي في هذا المشهد، بل برزت إيطاليا تدريجياً كأحد أهم الشركاء الاقتصاديين، وهو ما جعل التعاون الاقتصادي والتجاري يشكّل العمود الفقري للعلاقات الثنائية بين البلدين.⁽¹⁶⁾

لقد عرفت تونس خلال ستينيات القرن العشرين بداية بناء نموذجها التنموي القائم على التخطيط المركزي وتعبئة الموارد الداخلية والخارجية. وفي هذا السياق، عملت على عقد اتفاقيات تجارية مع إيطاليا لتأمين تصدير منتجاتها الزراعية التقليدية، وعلى رأسها زيت الزيتون والتمور والحبوب. وقد استفادت إيطاليا من هذه الاتفاقيات، إذ كانت في حاجة إلى هذه المواد ضمن صناعاتها الغذائية، خصوصاً في ظل التحولات التي شهدتها المجتمع الإيطالي بعد الحرب العالمية الثانية مع تزايد الطلب الداخلي. ومن جهة أخرى، وجدت تونس في السوق الإيطالية مجالاً لتصريف منتجاتها بشكل منتظم، بما سمح لها بالحفاظ على توازن معين في ميزانها التجاري لصالح إيطاليا بفعل قوة صناعاتها، وفي هذا السياق وقعت

⁽¹⁴⁾ أعمال الملتقيات الدولية: Ahmed Somai. Le Laboratoire Linguistique du Journal Simpaticuni، العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس - 1999)، ص. 193-206.

⁽¹⁵⁾ رزيقة محمدي. سياسة حمودة باشا الخارجية 1782-1814م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد 20، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية (الجزائر - 2019)، ص. 224-240.

⁽¹⁶⁾ أعمال الملتقيات الدولية: Ahmed Somai. Le Laboratoire Linguistique du Journal Simpaticuni، العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس - 1999)، ص. 193-206.



عام 1979 اتفاقية بين البلدين تضمنت على منع الازدواج الضريبي على دخل الافراد والشركات وتشجيع رؤؤس الأموال بين البلدين.

ومع بداية الثمانينات دخلت العلاقات الاقتصادية مرحلة جديدة، ففي مجال الطاقة، كانت لإيطاليا مصلحة كبيرة في تعزيز تعاونها مع تونس، نظراً لموقعها كبوابة نحو الجزائر وليبيا، وهما بلدان غنيان بالموارد البترولية. وكان من أبرز المشاريع الكبرى مشروع أنبوب الغاز الطبيعي العابر لتونس نحو إيطاليا، الذي بدأ إنشاؤه عام 1983 ودخل حيز التشغيل عام 1987، مما مثل نقلة نوعية في التعاون الطاقوي بين البلدين موفراً لتونس مورداً مالياً مهماً عبر رسوم العبور.

أما في مجال الاستثمارات الأجنبية فقد انطلقت تونس في سياسة الانفتاح الاقتصادي وجلب الاستثمارات الأجنبية، وهو ما جعلها وجهة مفضلة لعدد من الشركات الإيطالية، وفي هذا الجانب ولتشجيع الاستثمارات وقعت اتفاقية الاستثمار الثنائي عام 1985 التي نصت على ضمان تشجيع الاستثمارات الخاصة بين البلدين وحماية المستثمرين الإيطاليين والتونسيين لقد ركزت هذه الشركات على قطاعات النسيج والصناعات الميكانيكية والكهرومنزلية، نظراً لوفرة اليد العاملة التونسية وانخفاض تكلفتها مقارنة بأوروبا. وهكذا ظهرت مناطق صناعية تضم وحدات إنتاج موجهة للتصدير نحو السوق الأوروبية، وكانت إيطاليا من أبرز المستثمرين في هذا القطاع. هذا التعاون الصناعي ساعد على توفير فرص عمل، لكنه في الوقت نفسه خلق نقاشاً داخل تونس حول مدى تبعية الاقتصاد الوطني للشركات الأجنبية، وحول نوعية التكنولوجيا التي تُستورد ومدى مساهمتها في التنمية المستدامة.⁽¹⁷⁾

. كما مثل الميزان التجاري بين البلدين مؤشراً أساسياً على عمق هذا التعاون، إذ حافظت المبادلات الثنائية على نمو مطّرد رغم الفوارق الصناعية بين الطرفين، وهو ما دفع الجانبين إلى إنشاء آليات لمراقبة توازن التبادل وتطويره عبر اللجنة الاقتصادية المشتركة نحو أوروبا. هذا المشروع لم يكن مجرد صفقة اقتصادية، بل كان تعبيراً عن عمق الثقة السياسية بين البلدين، وعن إدراك مشترك لأهمية الجغرافيا في صياغة العلاقات.

ومن مظاهر التعاون التجاري أيضاً أنّ إيطاليا أصبحت في التسعينات من أكبر الشركاء التجاريين لتونس، إلى جانب فرنسا وألمانيا، فقد مثلت الصادرات التونسية نحو إيطاليا نسبة مهمة من إجمالي الصادرات الوطنية، خاصة في مجالات النسيج والمنتجات الزراعية وفي المقابل، استوردت تونس من إيطاليا منتجات صناعية متنوعة، من الآلات إلى السيارات والمواد الكيماوية. وقد ساعدت هذه المبادلات على توسيع قاعدة الاقتصاد التونسي، لكنها في الوقت نفسه كشفت عن هشاشة ميزان المدفوعات، حيث بقي الميزان التجاري يميل لصالح إيطاليا في أغلب السنوات.⁽¹⁸⁾

ولم يقتصر التعاون الاقتصادي على المبادلات المباشرة، بل شمل أيضاً التمويلات والقروض. فقد منحت إيطاليا لتونس عدداً من القروض الميسرة لتمويل مشاريع تنموية، في قطاعات مثل البنية التحتية والطاقة والتعليم. كما ساهمت المؤسسات المالية الإيطالية في تمويل شركات تونسية أو مشاريع مشتركة، وهو ما ساعد على خلق ديناميكية اقتصادية جديدة. ومع ذلك، أثار هذا النوع من التعاون أسئلة حول الديون الخارجية وتبعية الاقتصاد، خاصة في ظل سياسات التكيف الهيكلي التي فرضها صندوق النقد الدولي، والتي جعلت تونس أكثر حاجة إلى الدعم الأوروبي.

ولعل ما ميز التعاون الاقتصادي التونسي - الإيطالي أنّه لم يكن محصوراً في المجال الثنائي، بل ارتبط أيضاً بالتوجهات الأوسع للاتحاد الأوروبي. فإيطاليا، باعتبارها عضواً مؤسساً في الاتحاد، لعبت دوراً أساسياً في دفع الشراكة الأورو-متوسطية التي انطلقت مع "مسار برشلونة" عام 1995. وقد ساهمت هذه الشراكة في منح تونس وضعاً خاصاً كشريك مفضل، بما سمح لها بالحصول على تمويلات إضافية

(17) كمال مايدي. جوانب من العلاقات الخارجية لإيالة تونس مع فرنسا والدويلات الإيطالية في عهد حمودة باشا الحسيني (1782-1814م)، مجلة عصور، مجلد 17، عدد 2، جامعة وهران، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، (الجزائر - 2018)، ص. 167-204.

(18) Marinette Pendola Migliore. Les Mots de la Mémoire: Une Approche Linguistique de la Présence Italienne en Tunisie. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 83-94.



وتسهيلات في التبادل التجاري. وبذلك يمكن القول إنّ التعاون الاقتصادي مع إيطاليا كان بوابة تونس نحو الاندماج في الاقتصاد الأوروبي، رغم كل الصعوبات التي رافقت هذا المسار. لكنّ هذا التعاون لم يخلُ من التحديات فقد ظهرت انتقادات في تونس ترى أنّ الاستثمارات الإيطالية لم تحقق دائماً قيمة مضافة عالية، وأنها ركزت على قطاعات كثيفة الاستعمال لليد العاملة لكنها ضعيفة من حيث التكنولوجيا. كما برزت صعوبات في ما يتعلق بالميزان التجاري، حيث اتهمت بعض الأطراف الاقتصادية الإيطاليين بأنهم يستفيدون من السوق التونسية دون أن يقدموا مقابلاً متكافئاً ومع ذلك، فإنّ الطابع الاستراتيجي للتعاون جعل هذه التحديات تُدار بالحوار وبالتفاوض في إطار اللجان المشتركة، وهو ما سمح للعلاقات بالاستمرار رغم التوترات.

إنّ التعاون الاقتصادي والتجاري بين تونس وإيطاليا خلال الفترة 1960-2000 يعد مثلاً واضحاً على كيفية توظيف التاريخ والجغرافيا والمصالح المشتركة لبناء علاقة متشابكة ومعقدة، فقد استفادت تونس من السوق الإيطالية ومن الاستثمارات لتطوير اقتصادها، فيما استفادت إيطاليا من موقع تونس ومن يدها العاملة ومن مواردها الطاقية. وبين المكاسب والتحديات، ظل هذا التعاون ركيزة أساسية للعلاقات الثنائية، وأحد أبرز عوامل استمرارها وتطورها في وجه التحولات الدولية والإقليمية.⁽¹⁹⁾

المطلب الثاني: التعاون الثقافي والاجتماعي

ان العلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة 1960-2000 لم تقتصر على المبادلات التجارية أو على الاستثمارات الاقتصادية، بل تجاوزت ذلك لتشمل التعاون الثقافي والاجتماعي الذي مثل في الحقيقة الوجه الأكثر إنسانية في هذه العلاقات، فالثقافة والمجتمع لا يتحركان دائماً وفق المصالح الاقتصادية أو الحسابات السياسية، بل يتطوران عبر التاريخ الطويل من التفاعل بين الشعوب، وهو تفاعل يختزن في داخله رواسب الماضي كما يفتح المجال لأفاق المستقبل. وبالنسبة لتونس وإيطاليا، فقد كان هذا التعاون امتداداً طبيعياً لعلاقات تعود إلى قرون، حيث ظل البحر المتوسط مجالاً للتبادل الثقافي والاجتماعي بقدر ما كان ساحة للتنافس السياسي والعسكري.

لقد لعبت الجالية الإيطالية في تونس دوراً بارزاً في التأسيس لهذا التعاون الثقافي والاجتماعي. فمنذ القرن التاسع عشر، استقر آلاف الإيطاليين في البلاد، خاصة من صقلية وتوسكانا وليفورنو، وأصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي والاقتصادي. وقد أسسوا مدارس ومؤسسات ثقافية، وشاركوا في الحرف والمهن، وتركوا أثراً واضحاً في الحياة اليومية التونسية. ورغم أنّ استقلال تونس غير وضع هذه الجالية من حيث الامتيازات القانونية والسياسية، فإنها ظلت حاضرة في المشهد الثقافي والاجتماعي. وهكذا وجد البلدين قاعدة جاهزة للبناء عليها في تطوير التعاون الثقافي بعد 1960، خاصة في مجالات التعليم والفنون واللغة.⁽²⁰⁾

ففي ميدان التعليم، تم توقيع اتفاقيات لتبادل البعثات الجامعية وتقديم منح دراسية للطلاب التونسيين للدراسة في الجامعات الإيطالية. وقد استفاد مئات الطلبة من هذه الفرص، فانتقلوا إلى روما و نابولي وبولونيا وغيرها من الجامعات العريقة، ليعودوا بعد ذلك حاملين معارف جديدة ساهمت في تنويع النخبة العلمية والثقافية في تونس. وبالمقابل، استقبلت الجامعات التونسية عدداً من الباحثين والطلاب الإيطاليين، خصوصاً في معاهد التاريخ والآداب والفنون، حيث وجدوا في تونس فضاءً خصباً لدراسة التاريخ المتوسطي والتجارب الحضارية المشتركة.

شهدت الفترة 1990-2000 بروزاً ملحوظاً في مجالات التعاون التعليمي والبحثي بين البلدين ولعبت المعاهد الثقافية الإيطالية في تونس دوراً كبيراً في نشر اللغة الإيطالية والتعريف بالثقافة الإيطالية الحديثة ونظمت دورات لتعليم اللغة، ومعارض للفنون التشكيلية، وعروضاً للسينما الإيطالية، مما أتاح للجمهور التونسي الاطلاع على التجربة الفنية والأدبية الإيطالية. ومن خلال هذه الأنشطة، لم تكن إيطاليا تسعى

⁽¹⁹⁾ سالم علي البرقي وآخرون، العلاقات الإيطالية التونسية منذ عام 2011م، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد 45، عدد 3، جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الإفريقية، (مصر - 2023)، ص. 37-51.

⁽²⁰⁾ كمال مايفي. جوانب من العلاقات الخارجية لإبالة تونس مع فرنسا والدويلات الإيطالية في عهد حمودة باشا الحسيني (1782-1814م)، مجلة عصور، مجلد 17، عدد 2، جامعة وهران – مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، (الجزائر - 2018)، ص. 167-204.



فقط إلى تعزيز حضورها الثقافي، بل إلى بناء جسور متبادلة من الفهم والتقارب، وهو ما كان له أثر كبير في تلطيف صورة العلاقات الثنائية التي اتسمت أحياناً بالتوتر في الجانب السياسي أو الاقتصادي. كل هذه العناصر جعلت التعاون الثقافي والاجتماعي مكوناً أساسياً للعلاقات التونسية – الإيطالية خلال العقود الأربعة موضوع الدراسة. فهو تعاون عكس عمق الروابط الإنسانية التي تربط بين الشعبين، وأظهر أن الثقافة والمجتمع قادران على بناء جسور قد تكون أمتن من تلك التي تُشيد بالاقتصاد والسياسة.⁽²¹⁾

المطلب الثالث: العقبات والتحديات في مسار التعاون الثنائي

رغم تعدد مجالات التعاون وعمق الروابط التاريخية والجغرافية، لم تكن العلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة 1960-2000 خالية من التحديات والصعوبات. بل يمكن القول إن هذه العلاقات كانت دائماً محفوفة بمطبات فرضتها طبيعة التفاوت بين البلدين، واختلاف أولوياتهما، والسياق الدولي والإقليمي الذي لم يكن ثابتاً.⁽²²⁾ أهم هذه التحديات تتمثل :

- اختلال التوازن الاقتصادي. فالمبادلات التجارية كانت تميل بوضوح لصالح إيطاليا، حيث ظلت الصادرات الإيطالية إلى تونس تفوق وارداتها منها، وهو ما جعل الميزان التجاري دائماً في غير صالح تونس. وقد أثار هذا الوضع تساؤلات داخل الأوساط الاقتصادية والسياسية التونسية حول مدى جدوى هذه العلاقة، وحول إمكانية أن تؤدي إلى تبعية اقتصادية جديدة بعد التخلص من الاستعمار الفرنسي. ورغم أن الاستثمارات الإيطالية وفرت فرص عمل ودعمت بعض القطاعات، إلا أن طبيعتها، التي ركزت على الصناعات الخفيفة الموجهة للتصدير، لم تكن كافية لتحقيق التنمية الشاملة التي تطمح إليها تونس.
- قضية الهجرة: فمع تزايد أعداد التونسيين المهاجرين إلى إيطاليا، ظهرت صعوبات في الاندماج وفي الحصول على حقوق متساوية مع المواطنين الإيطاليين. وقد شهدت بعض الفترات توترات بسبب تصاعد ظاهرة الهجرة غير النظامية، خاصة في التسعينات، حيث كانت القوارب تنطلق من السواحل التونسية نحو صقلية. هذه الظاهرة أثارت قلق السلطات الإيطالية، التي طالبت تونس بمزيد من التشدد في مراقبة حدودها، في حين اعتبرت تونس أن معالجة هذه الظاهرة تستوجب تعاوناً أوسع يشمل تحسين الأوضاع الاقتصادية للشباب التونسي. وهكذا تحولت الهجرة إلى ملف شائك يلقي بظلاله على العلاقات، رغم وجود اتفاقيات لتنظيمها.⁽²³⁾
- المواقف من القضايا الإقليمية مثل الصراع العربي-الإسرائيلي أو العلاقة مع ليبيا سياسياً فقد سادت فترات من الفتور بين البلدين، بسبب اختلاف مواقفهم تجاه تلك القضايا. فإيطاليا، بحكم ارتباطها بالغرب وحلف شمال الأطلسي، لم تكن دائماً على وفاق مع مواقف تونس التي سعت إلى لعب دور متوازن بين المعسكرين خلال الحرب الباردة. كما أن علاقة تونس بليبيا، التي كانت متوترة أحياناً، ألقت بظلالها على العلاقة مع إيطاليا التي كانت لها مصالح نفطية كبرى في ليبيا.
- كان النظام السياسي في عهدي بورقيبة وبن علي يركز على الاستقرار الداخلي أكثر من انفتاح واسع على المجتمع المدني، وهو ما جعل التعاون الثقافي والاجتماعي مقيداً أحياناً بإرادة الدولة. أما في إيطاليا، فإن عدم الاستقرار الحكومي وتوالي الحكومات الائتلافية أحياناً جعل السياسة الخارجية تجاه تونس تفتقر إلى الاستمرارية القوية، رغم بقاء الخطوط الكبرى ثابتة.

أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق Silvia Finzi. Peintres Italiens de Tunisie. (تونس - 1999)، ص. 59-71. الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس - 1999)، ص. 59-71.

أعمال الملتقيات الدولية: Ahmed Somai. Le Laboratoire Linguistique du Journal Simpatcuni. العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1999، ص. 206-193.

Mohamed Lotfi Chaibi. Propagande Fasciste Italienne et Nationalistes Tunisiens 1934-1939: Histoire d'une Méprise. أعمال الملتقيات الدولية: العلاقات التونسية الإيطالية في سياق الحماية، جامعة تونس الأولى - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس - 1999)، ص. 232-213.



• الإرث التاريخي فرغم تجاوز مرحلة الاستعمار الفرنسي، ظل بعض التونسيين ينظرون بعين الريبة إلى الحضور الإيطالي، خاصة أنّ الذاكرة التاريخية كانت مثقلة بمحاولات الفاشية استقطاب الجالية الإيطالية في تونس خلال الثلاثينات. هذه الذاكرة وإن لم تكن عائقاً مباشراً، ظلت حاضرة في بعض الخطابات السياسية والثقافية.⁽²⁴⁾

ورغم كل هذه التحديات، فإنّ العلاقات لم تنهار، بل استمرت وتطورت بفضل وعي الطرفين بأهمية المصالح المشتركة. فقد كانت الصعوبات تُدار عبر الحوار واللجان المشتركة، وغالباً ما يتم التوصل إلى حلول وسطى تحفظ الحد الأدنى من التعاون. بل يمكن القول إنّ هذه التحديات ساعدت على اختبار صلابة العلاقة، وعلى دفعها نحو مزيد من التنظيم القانوني والمؤسسي.

ورغم ما تحقق من تعاون خلال العقود الأربعة، فإنّ مرحلة أواخر التسعينات (1997-2000) كشفت عن تحديات جديدة، خصوصاً مع تصاعد الهجرة غير النظامية وتزايد الضغط الأوروبي لتنظيمها، وهو ما استدعى إنشاء لجان متابعة مشتركة عام 1999 لتفعيل اتفاقيات الهجرة وضمان الاستقرار الاجتماعي.

الخاتمة:

إنّ دراسة العلاقات التونسية – الإيطالية خلال الفترة الممتدة من 1960-2000 تكشف بوضوح أنّ هذه العلاقات لم تكن مجرد تفاعل ثنائي بين بلدين جارين تجمعهما الجغرافيا، بل هي نتاج لتاريخ طويل من التداخل والتأثير المتبادل، ولتطورات إقليمية ودولية فرضت على الطرفين أن يتعاملوا مع بعضهما البعض بوصفهما شريكين رغم التفاوت في الإمكانيات والقدرات. لقد انطلقت هذه العلاقات من خلفيات تاريخية مثقلة بالهجرة الإيطالية إلى تونس، وبالمناصفة بين فرنسا وإيطاليا على النفوذ في البلاد خلال فترة الحماية، وبما حملته تجربة الفاشية من محاولات لتوظيف الجالية الإيطالية في صراعات أيديولوجية. ومع ذلك، نجح البلدان بعد الاستقلال في تجاوز هذا الإرث، وبناء روابط جديدة تستند إلى المصالح المشتركة وإلى الرغبة في تعزيز التعاون عبر أطر قانونية ومؤسسية واضحة.

في ضوء ماتقدم أنّ العلاقات التونسية-الإيطالية 1960-2000:

1. تبين أنّ التعاون التجاري والاستثماري شكّل الأساس للعلاقات التونسية الإيطالية، مع دور الاستراتيجي مهم لخط أنابيب الغاز في تعزيز الشراكة بين البلدين.
2. أظهرت النتائج أنّ الهجرة والمؤسسات الثقافية والتعليمية أسهمت في خلق فضاء مشترك للتفاعل الشعبي، رغم وجود تحديات تتعلق بالاندماج وحقوق المهاجرين.
3. أنّ العلاقات تأثرت بالسياق الدولي والإقليمي، بما في ذلك الحرب الباردة، الشراكة الأورو-متوسطية، والقضايا الإقليمية مثل ليبيا والشرق الأوسط.
4. تعزيز التوازن الاقتصادي عبر تنويع الصادرات وتشجيع الاستثمارات الإيطالية في قطاعات ذات قيمة مضافة عالية.
5. توسيع التعاون الثقافي والجامعي وإنشاء مراكز بحثية مشتركة لدراسة قضايا المتوسط والهجرة والتنمية.
6. تطوير الشراكة الأورو-متوسطية عبر الاستفادة من موقع إيطاليا داخل الاتحاد الأوروبي للحصول على تمويلات ومشاريع تنموية.

الكتب العربية والمعربة:

1. البرقي، سالم علي. *العلاقات الإيطالية التونسية منذ عام 2011م*. مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد 45، عدد 3، جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2023.
2. الشافعي، درويش. *الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م*. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مجلد 10، عدد 1، جامعة غرداية، 2017.

⁽²⁴⁾ درويش الشافعي. الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مجلد 10، عدد 1، جامعة غرداية، (الجزائر - 2017)، ص. 1411-1387.



3. مايدي، كمال. جوانب من العلاقات الخارجية لإيالة تونس مع فرنسا والدويلات الإيطالية في عهد حمودة باشا الحسيني (1782-1814م). مجلة عصور، مجلد 17، عدد 2، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة – مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، (الجزائر – 2018).

4. محدي، رزيقة. سياسة حمودة باشا الخارجية 1782-1814م. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد 20، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، (الجزائر - 2019).

الكتب الاجنبية:

1. Adda, Leila. *Le Statut des Italiens de Tunisie: Cent ans de Tergiversations*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
2. Belaid, Habib. *Sources Françaises sur les Italiens de Tunisie 1881-1945: le Fonds d'Archives Microfilmées de l'ISHMN*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
3. Ben Fraj, Chokri. *Regard Journalistique sur les Relations Intercommunautaires dans la Tunisie Coloniale: l'Exemple des Affrontements entre Autochtones et Italiens Avant la Deuxième Guerre Mondiale*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
4. Bouhaja, Mustapha. *La Colonie Italienne de Bizerte à l'époque Coloniale: Importance Économique et Rôle Socio-Politique*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
5. Brondino, Michele. *La Presse Italienne en Tunisie: Regards de Droite, Regards de Gauche*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
6. Brondino, Yvonne Facassetti. *Exemples de Regards Croisés à Travers la Production Littéraire "M. Sarfatti – C. Luccio – M. Scalesi dans la Tunisie du Protectorat"*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
7. Chaibi, Mohamed Lotfi. *Propagande Fasciste Italienne et Nationalistes Tunisiens 1934-1939: Histoire d'une Méprise*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.



8. Finzi, Silvia. *Peintres Italiens de Tunisie*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
9. Jerfel, Kamel. *La Colonie Italienne de Sousse et le Fascisme 1922–1939*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
10. Maetinc, Tomassctti. *La Banque Italienne de Crédit de la Deuxième Guerre Mondiale à l'indépendance*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
11. Migliore, Marinette Pendola. *Les Mots de la Mémoire: Une Approche Linguistique de la Présence Italienne en Tunisie*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
12. Rainero, Romain H. *La Présence Italienne en Tunisie de 1868 à 1896 d'après les Bulletins Diplomatiques et Consulaires Italiens*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
13. Razgallah, Rawdha Zaouchi. *L'apport Toscan en Tunisie de 1830 à 1945: Approches Littéraires*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
14. Somai, Ahmed. *Le Laboratoire Linguistique du Journal Simpatìcuni*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
15. Spano, Nadia. *Les Italiens Antifascistes en Tunisie*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.
16. Yazidi, Bechir. *L'implication des Italiens de Tunisie dans la guerre d'Espagne 1936–1939 et ses incidences*. Actes des Rencontres Internationales: Les Relations Tuniso-Italiennes dans le Contexte du Protectorat, Université de Tunis I – Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, 1999.